نحو الجملة ونحو النص
على ضوء التراث والدرس اللساني الحديث

إبراهيم علي يونس
أستاذ اللسانيات الحديثة بكلية أمين كنو لدراسات الشريعة والقانون، كنو-نيجيريا

مستخلص

كان المفهوم السائد للنحو في التراث العربي هو البحث عن أواخر الكلام إعرابا وبناءً، وبه يعرف الصواب من الخطأ في الكلام المنطوق أو المكتوب، قبل أن يظهر مفهوم جديد أوسع من السابق ليشمل مفهومه الكشف عن أسرار المباني اللغوية في ارتباطها بالمباني الذهنية والنفسية بغية رصد عمل الدلالة في النصوص في وجوهه المختلفة مثل: التماسك والانسجام في الموضوع، والزمان والأشخاص، أو المفاهيم وما يتعلق بها من عمل المضمرات كالضمائر وغيرها، وتنظيم المكان أو توزيعه، والتفاعل القائم بين أطراف التواصل. فالهدف من هذا المقال هو تسليط الضوء على نحو الجملة وبيان حقيقته وعلاقته بنحو النص مع الإشارة إلى الإرهاصات التي وردت في التراث العربي لهذا النحو الذي يعتبر امتدادا لنحو الجملة. وأما أهمية المقال فتظهر في كونه يتناول بالدراسة جانبا مهما في اللسانيات الحديثة والذي يعد بحق جسرا وهمزة وصل بين جمل متجزئة والتي يقف عند حدودها نحو الجملة لتصير عن طريق ارتباطها بعضها ببعض

نصا متكاملا يحمل رسالة معينة من متكلم إلى سامع. وقد سلك الباحث في ذلك المنهج الوصفي والتاريخي. وفي الأخير توصل المقال إلى نتائج منها: أن النحو لم يعد دوره معيارية اللغة وبيان الصواب من الخطأ بل يتعدى دوره إلى تحليل النص للوقوف على خصائصه من سبك وحبك وإعلامية وموقفية... ومنها أيضا: أن هناك ملامح ومظاهر لنحو النص في التراث العربي كما نجد ذلك عند الجاحظ والجرجاني وسائر علماء البلاغة وعلوم القرآن وأصول الفقه.

الكلمات المفتاحية: نحو الجملة، نحو النص، التراث العربي، اللسانيات الحديثة.

مقدمة

كانت أنحاء لغات العالم في القديم أنحاءَ الجملة، تتوقف حدودها عند الجملة باعتبارها أكبر وحدة لغوية، لا يمكن تجاوزها إلى وحدة لغوية أكبر منها، ويتم تجزئتها إلى مورفيمات ثم إلى أصوات، وهكذا ظل هذا النحو سائدا في العالم؛ إلى أن ظهر نحو النص مع منتصف القرن العشرين، والذي تتجاوز حدوده الجملة إلى النص بأكمله، وتمتد قدرته التشخيصية إلى مستوى ما وراء الجملة، بالإضافة إلى فحصها لعلاقات المكونات التركيبية داخل الجملة، ثم الفقرة ثم النص بتمامه، وذلك على المستوى المعجمي والمستوى اللغوي (الصوت والصرف والتركيب) والمستوى الدلالي والمستوى التداولي.

ومعنى هذا كله أن النقلة من نحو الجملة إلى نحو النص ليست مجرد نقلة حجمية (من الجملة إلى النص) وإنما هي أيضا بالإضافة إلى ذلك نقلة في المنهج وأدواته وإجراءاته وأهدافه.

هذا وقد أدت طبيعة المقال إلى تقسيمه إلى ثلاثة محاور تتقدمها مقدمة وتتذيلها خاتمة على النحو التالي:

1. مقدمة.
2. المحور الأول: الجملة والنص في التراث العربي والدرس اللغوي الحديث
3. المحور الثاني: نحو الجملة ونحو النص في التراث العربي والدرس اللغوي الحديث
4. المحور الثالث: نحو النص والفرق بينه وبين نحو الجملة.
5. خاتمة، وتنطوي على خلاصة البحث والنتائج.

المحور الأول: الجملة والنص في التراث العربي والدرس اللغوي الحديث

أولاً: مفهوم الجملة لغة واصطلاحا:

ورد في معجم مقاييس اللغة أن مادة (جمل) الجيم والميم واللام تدور في أصلين: أحدهما تجمع وعظم الخلق، والآخر حسن((8)). وجاء في المعجم الوسيط: (جمل) الشَّيْء جملا جمعه عَن تفرق والشحم أذابه... و(الْجُمْلَة) جمَاعَة كل شَيْء وَيُقَال أَخذ الشَّيْء جملَة وَبَاعه جملَة متجمعا لَا مُتَفَرقًا وَالْجُمْلَة (عِنْد البلاغيين والنحويين) كل كَلَام اشْتَمَل على مُسْند ومسند إِلَيْهِ (ج) جمل((9))

فالجملة لغة إذن هي ضم أشياء متفرقة في مكان واحد.

وأما الجملة في الاصطلاح فإن أول من استعمل هذا المصطلح "الجملة" مريداً به الفعل والفاعل، أو المبتدأ والخبر، هو أبو العباس المبرد، وذلك في معرض حديثه عن الفاعل، يقول: "وإنما كان الفاعل رفعاً لأنه هو والفعل جملة، يحسن عليها السكوت "((10))، أما سيبويه فقد سماه الإسناد((11))، وقد ظل النحويون يطلقون عليها مصطلح المسند والمسند إليه إلى أن استعمل المبرد لفظ الجملة((12)).

وأما ابن جني فقد ميز في كتابه "الخصائص" بين الكلام والجملة، فهو يرى أن الكلام جنس للجملة يقول في حديثه عن جمال المعنى: "فذا لا يكون مع الحرف الواحد، ولا الكلمة الواحدة، بل لا يكون في الجملة الواحدة دون أن يتردد الكلام، وتتكرر فيه الجمل، فيبين ما تضمنه من العذوبة وما في أعطافه من النعمة واللدونة"((13)). وقد عرف ابن هشام الجملة بأنها: "القول المفيد

(8) معجم مقاييس اللغة، 481/1.

(9) المعجم الوسيط، 136/1.

(10) المقتضب 1 : 146.

(11) الكتاب 1 : 32.

(12) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي 17.

(13) الخصائص 1 : 32.

بالقصد، والجملة عبارة عن الفعل وفاعله، والمبتدأ وخبره" ثم ميز بين الجملة والكلام؛ إذ يقول مقارنا بين الجملة والكلام في حديثه عن الجملة: "والصواب أنها أعم منه، إذ شرطه الإفادة – أي الكلام – بخلافها أي – الجملة – ولهذا تسمعهم يقولون: جملة الصلة، وجملة الشرط، وجملة الجواب، وكل ذلك ليس مفيداً، وليس بكلام"((14)) .

وقد سار السيوطي على رأي ابن هشام في التمييز بين الجملة والكلام حيث يقول: "والجملة: قيل ترادف الكلام، والأصح أعم لعدم شرط الإفادة"((15)).

أما الجملة عند المحدثين في الشرق والغرب فقد لاقت تعريفات مختلفة حسب المدارس والاتجاهات التي ينتمي إليها كل دارس، لذلك فقد اتخذت أشكالا متعددة.

فهذا د. إبراهيم أنيس يعرفها بأنها: "أقل قدر من الكلام يفيد السامع معنى مستقلا بنفسه، سواء تركب هذا القدر من كلمة واحدة أو أكثر"((16)) ويرى د. خرما أن "الجملة هي شكل لغوي مستقل، أو أنها تتألف من مسند ومسند إليه"((17)) وعرفها (بلومفيلد) بأنها: "شكل لغوي مستقل، لا يتضمنه من خلال أي تركيب نحوي شكل لغوي أكبر منه"((18))، وعرفها (إيفنش) بأنها: "فكرة تامة " وهي عند (جاردنز) و(جولدمان) " تتابع من عناصر القول ينتهي بسكتة " وعند (هاريس): "نمط تركيبي ذو مكونات شكلية خاصة"((19)).

(14) المغني 2 : 373 – 374.

(15) همع الهوامع 1 : 47.

(16) من أسرار اللغة، 275.

(17) أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، 286.

(18) مدخل إلى علم النص 16.

(19) نحو النص بين الأصالة والحداثة 39.

وقام أ.د. مصطفى صلاح قطب بجمع هذه التعريفات وإخراج تعريف جامع مانع بقوله: "الجملة شكل لغوي مستقل بنفسه، مفيد لمعناه، لا يتضمنه تركيب نحوي أكبر، وقد يكون هذا الشكل اللغوي كلمة على السطح أو أكثر"(20).

ثانياً: مفهوم النص

جاء في مقاييس اللغة: (نص) النون والصاد أصل صحيح يدل على رفع وارتفاع وانتهاء في الشيء. منه قولهم نص الحديث إلى فلان: رفعه إليه. والنص في السير أرفعه. يقال: نصنصت ناقتي. وسير نص ونصيص. ومنصة العروس منه أيضا. وبات فلان منتصا على بعيره، أي منتصبا. ونص كل شيء: منتهاه. وفي حديث علي عليه السلام: "إذا بلغ النساء نص الحقاق"، أي إذا بلغن غاية الصغر وصرن في حد البلوغ. والحقاق: مصدر المحاقة، وهي أن يقول بعض"(21).

وفي اللسان: النص: رفْعُك الشيء. نَصَّ الحديث يَنُصُّه نصّاً: رفَعَه. ووُضِعَ على المِنَصَّةِ أَي على غاية الشهرة والظهور، وأَصل النَّصّ أَقصى الشيء وغايتُه، ثم سمي به ضربٌ من السير سريع، ونصَّ المتاعَ نصّاً: جعلَ بعضه على بعض الأولياء: أنا أحق بها، وبعضهم: أنا أحق"((22)).

ويعرفه الجرجاني بقوله: "النص ما ازداد وضوحا على الظاهر لمعنى في المتكلم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، فإذا قيل: أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغتم بغمي كان نصا في بيان محبته"((23)).

---

(20) علم لغة النص النظرية والتطبيق، 25.

(21) مقاييس اللغة، 356/5.

(22) لسان العرب مادة نصص.

(23) التعريفات، 209.

النص في الاصطلاح:

إن معنى النص في اللغة كما ورد في المعاجم اللغوية لا يبتعد كل الابتعاد عن المعنى الاصطلاحي فالنص لا بد من رفعه وإظهاره ليدركه المتلقي، وكذلك ضم الشيء؛ فالنص هو ضم الجمل بالعديد من الروابط، والنص هو أقصى وحدة لغوية يمكن الوصول إليها.

إن من يتصفح التراث العربي يجد أن كلمة "نص" قد ترددت كثيرا في كتاباتهم، ولكننا إذا ذهبنا نستقصي هذا التراث بحثا عن تعريف لهذا المصطلح، فإننا لا نصل فيه إلى شيء ذي بال.. وليس معنى افتقاد مصطلح النص، افتقاد مدلوله، فلا تعني غيبة التعريف لدى القدماء أنهم لم يمارسوا التعامل مع النص، فقد ارتبط لفظ النص بالقرآن لدى السلف.. والنص عند الفقهاء: نص الكتاب أو السنة أو هما معا. والقاعدة الأصولية المعروفة تقول: لا اجتهاد مع النص تعني ذلك"((24)).

وأما عند المحدثين فقد تعددت تعريفات النص عند اللسانيين المحدثين تعددا ملحوظا تبعاً للزاوية التي ينظرون إليها فقد عرفه (هاليداي) ورقية حسن بأنه: "فقرة مكتوبة أو منطوقة مهما كان طولها، شريطة أن تكون وحدة متكاملة، دون تحديد حجمه طولاً أو قصراً"((25))، وعرفه (برينكر) بأنه: "تتابع متماسك من علامات لغوية لا تدخل تحت أية وحدة لغوية أخرى"((26))، والنص عن شميث: "كل تكوين لغوي منطوق من حدث اتصالي في إطار عملية اتصالية، حيث يتحول كم من المنطوقات اللغوية إلى نص متماسك"((27)) وقد عرفه سعد مصلوح بأنه: "سلسلة من الجمل كل منها يفيد السامع فائدة يحسن السكوت عليها، وهو مجرد حاصل جمع للجمل الداخلة في تشكيله"((28)).

(24) علم لغة النص، 54– 55.

(25) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي 22.

(26) نحو النص بين الأصالة والحداثة 20.

(27) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية 70.

(28) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي 24.

ويرى محمد خطابي أن النص وحدة دلالية((29)) وسماه محمد حماسة عبد اللطيف بالنص اللغوي الحي يقول: "وهو النص الذي لم يصنع من أجل التمثيل النحوي لغرض من أغراض التعليم، لأن التركيز في المثال التعليمي في النحو منصب على جانب واحد من جوانبه هو جانب العلاقات النحوية، ومن هنا ننسى صلة الشاهد ببقية النص، فيفقد الشاهد الموقف، ويصبح بارداً" ((30)) وهو هنا يركز على الجانب الدلالي ، وضرورة ربط أجزاء النص وتماسكه، وعرفه (هارفج): "ترابط مستمر للاستبدالات التي تظهر الترابط النحوي للنص"((31)) وقد عرفه (دي بوجراند) بأنه: "حدث تواصل يلزم لكونه نصاً أن تتوافر له سبعة معايير، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف عنه أحد هذه المعايير وهي: السبك، والحبك، والقصد، والقبول، والإعلامية، والمقامية، والتناص" ((32)) .

ولعلنا نلمح تقارباً بين تعريف المتقدمين للكلام، وتعريف المحدثين للنص، فإن النص عندهم الوحدة الكلامية الكبرى، التي تضم تحتها وحدات صغرى، وهو غير محدود بعدد معين من الجمل، وقد تكون الجملة الواحدة نصاً إذا أدت وظيفة النص، والكلام يُطلق على القليل والكثير من الجمل بشرط أن يحقق غرضه من الإفادة، وهذا ما قرره علماء النص من أنها الوحدة الكلامية التي تؤدي وظيفة الإفادة، بحيث لا تحتاج إلى وحدة كلامية أكبر تضمها.

(29) لسانيات النص 13.

(30) النحو والدلالة 161.

(31) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية 70.

(32) نحو النص بين الأصالة والحداثة 25.

المحور الثاني: نحو الجملة ونحو النص في التراث العربي والدرس اللغوي الحديث

نحو النص في التراث العربي:

يذهب المحدثون إلى تسمية ما ظهر من النحو في التراث العربي القديم بنحو الجملة، ويقررون أن النحويين منذ البداية حملوا على عاتقهم مهمة دراسة الجملة من الناحية الوضعية فصاغوا قواعدها واستقصوا أنماطها، ولكنهم لم يتجاوزوا حدود الجمل في دراساتهم وتحليلاتهم؛ لأنهم عدوا الجملة أكبر الوحدات اللغوية التي ستخضع لدراسة العالم النحوي أو البلاغي((33)).

غير أننا نثبت وقد أثبت غيرنا قبلنا؛ أن في التراث العربي ملامح ومظاهر تعد اليوم أهم قضايا نحو النص. وذلك في كتب البلاغة وعلوم القرآن وعلم الأصول.

فهذا الجاحظ في البيان والتبيين في صدد الحديث عن البلاغة يقرر أنها معرفة الفصل والوصل والحذف والتقديم والتأخير وأن مرد الأمر في الشعر يعود إلى سبك ألفاظه. ويأتي عبد القاهر الجرجاني ليضع قواعد النظم ويضمنها كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وبذلك يذهب د. محمد حماسة (إلى) أنه من الرواد الأوائل لنحو النص يقول: "فهو الذي استطاع أن يقدم نظرية نصية واضحة، عرفت بنظرية النظم"((34))

نشأة نحو النص

لقد اهتمت اللسانيات الحديثة لفترة طويلة من تاريخها بدراسة الجملة، من حيث حدودها، وبنيتها، ونحويتها من عدم نحويتها... وغيرها من المستويات، ومرد هذا الاهتمام كون الجملة شكلا لغويا مستقلا عن أي تركيب

(33) مباحث حول نحو النص، 16.

(34) علم لغة النص، 56.

نحوي آخر. فاستمر ثلة من اللسانيين منكبين على الجملة، على سبيل المثال لا الحصر، نذكر بلومفيلد وهاريس في التوزيعية، وتشومسكي في التوليدية التحويلية، كل حسب منهجه في الدراسة، ولعل هذا ما تمخض عنه اختلاف في تبني الآراء بين منظري وباحثي لسانيات الجملة، إلا أن هدفهم كان موحدا؛ وهو الاهتمام-إلى جانب ما ذكرناه- بقواعد الجملة سواء المعقدة أو البسيطة.

لقد انتبه الباحثون إلى أن لسانيات الجملة تشتغل في مجال ضيق. بهذا الصدد يقول روبيرت دي بوغراند: " من المتعلق أن هذا التركيب الأساسي (ويقصد به الجملة) قد أحاط به الغموض والتباين حتى في وقتنا الحاضر... وما زالت هناك معايير مختلفة لجملية الجملة دون الاعتراف بصراحة بأنها تعريفات نهائية، كونها أساسا لتوحيد تناول موضوعها(1). بالرغم من الأبحاث التي قدمت من قبل اللسانيات الجملية، إلا أن هناك مشاكل كثيرة كانت دافعا قويا لتجاوز الجملة إلى دراسة النص، من بينها:

- وقوفها عند تحليل الجملة كوحدة كبرى، وكموضوع للسانيات.

- عجزها عن تقديم وصف وتفسير لمتتالية من الجمل المتماسكة، وكذا عدم القدرة على الإحاطة بسياقاتها الاجتماعية والثقافية والتداولية الاستعمالية.

- دراسة الجملة النظامية.

للأسباب التي ذكرنا ولأسباب أخرى وقفت اللسانيات الجملية عاجزة عن تقديم وصف عام، وتفسير شامل لمتتالية من الجمل المتماسكة من حيث الشكل والدلالة. ما جعل بعض اللسانيين يدعون إلى انفتاح الدرس اللساني على دراسة النصوص، وفي هذا الصدد يمكن أن نقدم إسهامات هاريس التنظيرية في الانتقال من الجملة إلى النص، في سياق ما يدعى بـ" لسانيات النص، أو نحو النص، أو علم النص، أو علم اللغة النصي...

تعريف نحو الجملة:

يعرف نحو الجملة بأنه طراز من التحليل النحوي يقيد معالجته بحدود الجملة أو القول المفيد فائدة يحسن السكوت عليها(35).

فمعالجة نحو الجملة لا تتجاوز الجملة. ويبدأ التحليل النحوي باجتزاء الجمل، وعزلها عن سياقها تقريبا، فيوضح القوانين الضابطة لنظام الجملة من خلال مكوناتها التركيبية ليصير الكلام قيد الضبط.

أو صورة من صور التحليل النحوي، يقف في معالجته عند حدود الجملة، ولا يتجاوزها إلا في القليل النادر، كالاستدراك، والعطف، والجمل الكبرى المتصلة.

لكن الجملة باعتبارها الوحدة الكبرى في الكلام، في علم اللغة ليست كافية لكل مسائل الوصف اللغوي، وهكذا يمكن بقبول جملة ما، إذا أرجعها الإنسان إلى جملة سابقة، وجملة لاحقة، خاصة إذا كان التحليل دلالياً، فلا يمكن أن يكتمل دون الرجوع إلى المقام، وما فيه من جمل، وتحديد الروابط، وعناصر الترابط والتماسك النصي، والجملة مستقلةً هي كيان قواعدي خالص يتحدد على مستوى النحو فحسب.

وخلاصة القول: إن نحو الجملة يصبو إلى غاية هي استنباط قوانين الكلام، أي اللفظ المفيد فائدة يحسن السكوت عليها.

معايير نحو الجملة:

إن لنحو الجملة خصائص ومعايير تميزه عن نحو النص وهذه الخصائص أربعة، وهي:

5 – الاطراد: لهذا كانت القاعدة في نحو الجملة حكما على اللغة الفصيحة على الرغم من اعتراف نحاة الجملة للشذوذ بالفصاحة.

(35) علم اللغة النصي، 51.

6 – المعيارية: ومعناها أن القاعدة معيار للصحة والخطأ، وهكذا جعلت المعيارية القاعدة سابقة على النص، فلا يرتضي النحو نصا إلا إذا وافق القواعد التي سبق استنباطها.

1 – الإطلاق: بمعنى أن القاعدة النحوية صادقة على ما قيل من قبل وما سيقال من بعد، فهي الحَكَم الذي يُردّ إليه الكلام.

7 – الاقتصار: على العلاقات في حدود الجملة الواحدة، فلا يتخطاها البحث إلا عند الإضراب أو الاستدراك ونحوهما(36).

ولهذه السمات والخصائص صح لهذا النحو أن يسمى نحو الجملة.

تعريف نحو النص:

نحو النص "هو نمط من التحليل ذو وسائل بحثية مركبة تمتد قدرتها التشخيصية إلى ما وراء الجملة بالإضافة إلى فحصها لعلاقات المكونات التركيبية داخل الجملة"((37)). وقيل هو "العلم الذي يبحث في سمات النصوص وأنواعها، وصور الترابط والانسجام داخلها، ويهدف إلى تحليلها في أدق صورة تمكننا من فهمها وتصنيفها ووضع نحو خاص لها مما يسهم في إنجاح عملية التواصل التي يسعى إليها منتج النص ويشترك فيها متلقيه"((38)). ويرى بعض الدارسين أن هذا التعريف أدق وأوفى وأوضح التعريفات التي قدمت لنحو النص وذلك لاشتماله على أربعة أمور، وهي:

– لأنه بين مهمة ومجال عمل نحو النص وهي: "البحث في سمات النصوص وأنواعها"

– وأشار على وجه الخصوص إلى ملمحين رئيسين ومعيارين مهمين لنحو النص: هما السبك والحبك في قوله: " وصور الترابط والانسجام داخلها"، حيث إن الترابط للألفاظ والصيغ، والانسجام للمفاهيم والمعاني.

(36) اللغة العربية معناها ومبناها، 18–19.

(37)عناصر السبك بين القدماء والمحدثين، 563/2.

(38) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق (نماذج من السنة النبوية)، 5.

ج – وبين الأهداف القريبة لنحو النص، وهي: "تحليل النصوص في أدق صورة، والمهام العظمى له وهي: "فهم النصوص وتصنيفها، ووضع نحو خاص لها ".

د – وأشار إلى عملية التواصل بين المبدع والمتلقي وهي القضية ذات الأهمية الكبرى لدى النقاد.

فحق نحو النص أن يحلل وفق المعايير النصية الكاملة، والجملة في النص لا تفهم بحد ذاتها، وإنما تسهم الجمل الأخرى في فهمها وهذا يعني أن الجملة ليست وحدها التركيب الذي نحدد به المعنى، وإنما نحدد المعنى أساساً من خلال النص الكلي الذي تتضامن أجزاؤه وتتآزر فتشكل فكرة، والجملة هي ما لفظ ففهم ولا تشكل سوى معنى مجزوءاً، وهذا ما أدى إلى ظهور ما يعرف بنحو النص. ويقوم نحو النص على تشخيص علاقات لم ينظر إليها في نحو الجملة، وهي علاقات فيما وراء الجملة، بين الجمل والفقرات والنص بتمامه.

معايير نحو النص:

إن لنحو النص معايير وسمات تميزه عن نحو الجملة، وهذه المعايير سبعة كالتالي:

22. السبك أو التماسك Cohesion: ويقصد به تتابع البناء الظاهري للنص عن طريق استخدام وسائل الربط النحوية والقاعدية المختلفة.

23. الحبك أو التناسق Coherence: ويقصد به التتابع الدلالي للمفاهيم والعلاقات داخل النص ويطلق عليه الانسجام أو الالتحام.

24. القصد أو المقصدية Intentionality: وهو موقف منشئ النص من كون صورة ما من صور اللغة قصد بها أن تكون نصا مسبوكا محبوكا موضوعا للتوصل إلى غاية بعينها، وبناء على ذلك لا يكون من قبيل النص لغو الكلام وحشوه وكلام المكره والناسي والمخطئ والسكران.

25. القبول أو المقبولية Acceptability: وهي صفة تعني أن النص يمثل صورة مقبولة من صور اللغة بين أجزائها تماسك والتحام وهي محددة الدلالة.

26. الموقفية أو رعاية الموقف أو المقامية Situationality: وهذا المعيار هو مجموع العوامل التي تجعل نصا ما ذا ارتباط وثيق بالموقف الاتصالي، فلا يوجد نص دون ارتباط بالموقف، لأن معنى (معاني) النص واستعماله واستقباله تتحدد كلها من خلال الموقف.

27. الإعلامية أو الإبلاغية Informativity: ومعناها أن يكون للنص محتوى يجري إبلاغه للمتلقي بواسطة هذا النص.

28. التناص Intertextuality: وهو علاقة تقوم بين أجزاء النص بعضها ببعض، كما تقوم بين النص والنص الآخر، كعلاقة السؤال بالجواب(39)

المحور الثالث: نحو النص والفرق بينه وبين نحو الجملة

لا يمكن لنحو النص أن يستغني عن نحو الجملة؛ فالنص قائم على الجملة، إلا أن نحو الجملة لا يقدم تصوراً للعلاقات بين الجمل بصورة كافية، كما أن الجملة تمثل الدلالة الجزئية لا الكلية، لأن الجملة مستقلة عن السياق، وهي في هذا الاستقلال لا تقدم سوى معنى معجمي للكلمات الموجودة في الجملة، في حين تقدم النصية الدلالة الكاملة.

إنّ نحو الجملة يقوم بدراسة الجمل معزولة عن سياقها أو الجملة المصنوعة، وهو يؤمن باستقلاليّة الجملة، وهذا ما لا نجده في نحو النّص، فهو يدرسُ العلاقات بين الجمل، فالنّصّيّة تستمدّ من علاقة التماسك الذي تتعلّق أجزاؤه بعضها ببعض لتكونَ كتلةً واحدة. ونحو الجملة يهتمّ بالقاعدة ومعياريّتها، أمّا نحو النـــّص فأبعد ما يكونُ عن المعياريّة، فهو ينشأ بعد أن يكتملَ النّص. ونحو الجملة لا يبحثُ في الجملة من البلاغة وأثرها في السّامع، بينما نحو النّص فجلُّ عمله هو البحث في تلك الأمور.

(39) مباحث حول نحو النص، 11-12.

لذلك في عهد علمائنا القديم ظهر نحو النـــّص بشكلٍ واضح لديهم عند تفسيرهم للقرآن الكريم، فهذا السيوطي ينقل عن ابن العربيً «ارتباط آي القرآن بعضها البعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متـــّسقة المعاني منتظمة المباني».

ونحو النّص يتجاوز المقروء إلى المكتوب وبالعكس، فهو يرى الكلمات المستخدمة وعلاقتها بالمضمون، لذلك يبحثُ في مناسبة النّص، وهذا ما لا تجده في نحو الجملة.

ويمكن أن نستخلص مجموعة من الفوارق بين نحو الجملة ونحو النص، وفي الوقت ذاته نرى أن كلا من نحو الجملة ونحو النص يشتركان في بعض النقاط، فهما علمان يتقاطعان ويتداخلان في كثير من الأمور، منها:

1. التمييز بين ما يطابق القواعد وما لا يطابقها تمييز معياري؛ فالحكم بأن تركيباً ما يُعد جملة يتم بمقارنة هذا التركيب بالأنماط التي تسمح بها القواعد النحوية، فالتركيب إما أن يكون جملة أو لا يكون مطلقا، استنادا إلى معيار الخطأ والصواب، أما التمييز بين ما يعد نصاً أو لا فلا يتم بهذه الطريقة الآلية؛ فيكون النص مقبولاً أو غير مقبول وفق قوانين واعتبارات عديدة تتداخل فيها علوم ومعارف مختلفة.

2. يُعد النص نظاما فعالاً على حين تُعد الجملة عناصر من نظام افتراضي، فالنص عمل إنساني، ينوي به الكاتب أن ينتج نصاً، ويوجه المتلقين أن يبنوا علاقات من أنواع مختلفة، أما الجملة فهي ليست عملاً؛ ولهذا كانت ذات أثر محدود في المواقف الإنسانية، لأنها تستعمل لتعريف الناس كيفية بناء العلاقات النحوية فحسب، ويقوم نحو الجملة على الاستقلال بالتركيب النحوي، وبالتالي فهو نحو تحليل لا تركيب ولا يتفاعل فيه النحو والمعنى ، أما النص فهو إنتاج تواصلي وفعل منجز، يقول محمد خطابي في نحو النص: "بمعنى أن القول لن يوصف فقط باعتبار بنيته الداخلية ، والمعنى المسند إليه، بل سيوصف أيضاً باعتبار الفعل المنجز (إنتاج تواصلي)((40)) وهو تطبيقي غير نظري فلا ينشأ إلا

(40) لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب 29 .

بعد أن يكتمل النص، ويتم استنباط قواعده من داخله، في حين المعيارية سابقة للجملة في نحو الجملة.

3. يهتم نحو النص دون نحو الجملة بالظواهر النصية المختلفة، ومنها علاقات الترابط، والتماسك النصي، ومن ذلك الإحالة النصية، والتكرار، والحذف، والاستبدال، والتراكيب المحورية، والتراكيب التابعة، وغيرها من الظواهر التركيبية التي تخرج عن إطار الجملة المفردة، والتي لا يمكن تفسيرها تفسيراً دقيقاً إلا من خلال وحدة النص الكلية.

4. ومن سمات نحو الجملة الاطراد، وهو ثبات القاعدة في الحكم على الفصحى، وما خرج عنها يعد شاذا، أما نحو النص فينأى عن الاطراد لأنه يعترف بالمؤشرات الأسلوبية، وهي تصرفات فردية يلجأ إليها منشئ النص ليثير انتباه المتلقي، وهي لا تأتي على نسق مطرد((41)).

5. الجملة في النص ذات دلالة جزئية، ولا يمكن أن نتوصل إلى هذه الدلالة إلا بمراعاة الدلالات في الجمل السابقة واللاحقة فيما يسمى التتابع الجملي للنص، إذ إن النص لا يجيز وجودا مستقلاً للجمل، حيث لا تكون القيم الدلالية الجزئية ذات اعتبار كبير إلا بإشراكها بالقيم الكبرى التي تشكل جوهر البيئة الكلية للنص((42))، فإذا كانت الجملة وحدة نحوية، فإن النص ليس وحدة نحوية أوسع منها، أو مجرد مجموع تتابع جمل، وإنما هي وحدة دلالية، لها معنى في سياق دلالي يتجسد في شكل جمل، ولما كان تجاوز حد الجملة أمراً أساسياً لإدراك النصية، فقد وصفت النصوص بأنها كليات متجاوزة الجمل، فالنقلة من نحو الجملة إلى نحو النص ليست مجرد نقلة حجمية، وإنما نقلة في المنهج، وأدواته، وإجراءاته، وأهدافه.

6. ينبغي للنص أن يتصل بموقف يكون فيه، تتفاعل فيه مجموعة من المرتكزات، والتوقعات والمعارف، وهذه البيئة الشاسعة تسمى "سياق

(41) نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي 74.

(42) نحو النص بين الأصالة والحداثة 44.

الموقف"، وقد أهمل نحو الجملة هذا السياق وهو على قدر كبير من الأهمية في الدراسات اللغوية، فاللغة عبارة عن وسيلة اتصال، يستخدمها أفراد المجتمع للتوصل إلى أهداف وغايات، وقد أكد (فيرث) أهمية السياق مما جعل علماء لغة النص يولون السياق وما يتصل به من أمور تتعلق بمنتج النص، والبيئة الثقافية، والمقاصد والغايات أهمية بالغة، وقد تعامل علماء لغة النص مع النص باعتباره حدثاً اتصالياً، واعتبار محور الدراسات النصية هو كيف تؤدي النصوص وظيفة التفاعل الإنساني((43)) ، ويرى (براون ويول) أن الفكرة القائلة بإمكان تحليل سلسلة لغوية مثلا دون مراعاة للسياق قد أصبحت في السنين الأخيرة محل شك كبير؛ فإذا أراد النحوي المهتم بالجملة أن يقدم أحكاماً بشأن مدى نحوية جملة من الجمل، وهو يحدد ما إذا كانت الأنساق اللغوية التي يقدمها نحوه جملاً صحيحة، فإنه يعتمد ضمناً على السياق((44)).

7. ويميز الأزهر الزناد بين نحو الجملة ونحو النص فيما يتعلق بالتصنيف، فالجملة تنقسم إلى اسمية وفعلية، وإلى بسيطة ومركبة، وهذا التصنيف اعتماداً على شكلها، أما النصوص فيتم تصنيفها وفق مضامينها في الأساس، ويأتي المعيار الشكلي بالدرجة الثانية، فيصنف النص إلى أدبي وعلمي وقانوني .... ((45)) .

8. ومن الأشياء التي يرفضها كثير من اللغويين اعتبار قواعد الجملة منتهى الهم، ومبلغ العلم، فإن هذا لا يقر للنص بكينونته المتميزة، التي توجب معالجة تراكيبه معالجة نحوية تستجيب لمقتضيات بنيته، وبهذا يقع النص خارج مجال الدرس النحوي، وتعد الجملة جزءاً من مكونات النص، ويقوم النص في الغالب على مجموعة من الجمل تتآزر وتتآلف في الدلالة النحوية باعتبار منظومة من العلاقات التي تحكم النص، وقد تشترك الجملة والنص في شكل واحد،

(43) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية 67.

(44) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي 67.

(45) نسيج النص ، بحث فيما يكون الملفوظ نصاً 17.

ويرى الدكتور سعد مصلوح أن التداخل بين نحو الجملة، ونحو النص قد يزول إذا توفرت في الجملة المعايير النصية السبعة، فهي لا تنحصر في الكم، والجملة يمكن أن تكون نصاً((46))، ويرى الدكتور سعيد بحيري أن دراسة الجملة النصية تدخل ضمن دراسة نحو النص، ما دامت المعالجة لا تقتصر على الجانب التركيبي، وإنما تتعداه إلى الجانبين الدلالي والسياقي((47))، ويربط الزناد بين نحو النص ونحو الجملة ، ويرى أن اندراج الجملة أو الجمل في النص مطرد ضرورياً لأنها من مكوناته المباشرة، أما اندراج النص في الجملة فهو ممكن، ولذلك يختلف فهم الجملة عن فهم النص، فالنص يحتوي الجملة، وما يفوقها، وما دونها، والنص الذي يساوي الجملة يطلق عليه جملة نصية وهي الجملة المنجزة فعلاً في المقام، وتتوفر فيها ملابسات كثيرة ، يقوم عليها الفهم والإفهام، أما إذا تلفظ المتكلم بما يفوق الجملة وفهم عنه سامعه، يُطرح سؤال يتعلق بآلية الفهم، ويتعلق بالعناصر التي تتجاوز مستوى الجملة المفردة، فتقوم شبكة من العلاقات بين الجمل المتباعدة داخل فضاء النص الواحد، وعندما يتلفظ المتكلم بما دون الجملة، وفهم عنه سامعه فالأمر يتعلق في هذه الحالة بآليات الفهم ومفاتيحه؛ فهذا المنطوق الناقص من حيث اللفظ التام من حيث المفهوم، يحتاج إلى دراسة مستواه الدلالي ومقامه، ومحيطه الثقافي((48)).

نقطة الاتفاق بين نحو الجملة ونحو النص:

مع كون علماء نحو الجملة وعلماء نحو النص يختلفان في كثير من المظاهر والأهداف والإجراءات إلا أنهما يتفقان في شيئين اثنين هما:

الأول: أن نحو الجملة يهتم ببيان العلاقة النحوية والدلالية بين كلمات الجملة، وكذلك نحو النص يهتم ببيان العلاقة النحوية والدلالية بين جمل النص فكلاهما قائم على أساس تبين العلاقة بين العناصر اللغوية.

(46) نحو النص بين الأصالة والحداثة 51.

(47) البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية 69.

(48) نسيج النص ، بحث فيما يكون الملفوظ نصاً 15 – 16.

الثاني: أن نحو النص يستخدم كثيرا من المسلمات التي انتهى إليها نحو الجلمة فنجد فيه حديثا عن أسماء الإشارة ، والأسماء الموصولة وغيرها من الوسائل التي تساعد على تحقيق الترابط والتواصل بين الجمل، فإن أهم شيء في نحو النص هو الحديث عن الروابط التي تربط الجمل بعضها ببعض((49)).

أهمية نحو الجملة ونحو النص معاً

نتبين من خلال هذا العرض السريع لما يتعالق به نحو الجملة مع نحو النص، وما يفترق عنه أن نحو النص لم ينشأ من فراغ وإنما كان نحو الجملة أساساً له، كما أن نحو النص لا يرفض نحو الجملة رفضاً مطلقاً، إنما يقف به عند حد الجملة الواحدة، ويتجاوزه إلى مسرح النص بتمامه، والحق أن الفصل الحاد بين نحو الجملة ونحو النص لا يتناسب مع الواقع الفعلي، لكونهما متكاملين؛ وذلك لأن النص ما هو إلا مجموعة من الجمل، فكما أن الفونيم وحدة الكلمة، والكلمة وحدة الجملة، فالجملة وحدة النص، ويؤكد ذلك أن توسيع مجال علم اللغة ليشمل النصوص وتوظيفها في الاتصال، لا يشكك مطلقا في أهمية الوحدات اللغوية الصغرى: الفونيمات، والمورفيمات، والمركبات الاسمية والجمل بل على العكس يجب أن تستمر مثل هذه الدراسات وتقوى، حتى تقوم بدور في تشكيل نحو النص؛ ومن ثم لا يسوغ أن تنفصم العلاقة بين نحو الجملة ونحو النص، كما لا يسوغ أن يتداخل العلمان بمعنى أن يشتمل أحدهما على الآخر؛ ومن ثم ينظر إلى دراسات نحو الجملة على أنها تمهيد ضروري لدراسة نحو النص، ومن الواضح أن السامع عندما يتلقى نصاً ما يستدعي له بنيتين داخلية: تعتمد على الوسائل اللغوية التي تربط أواصر مقطع ما بغيره. وخارجية: تكمن في مراعاة المقام المحيط بالنص؛ ومن ثم فلا فصل بينهما عند

(49) مباحث حول نحو النص، اللغة العربية، أ.د. عبد العظيم فتحي خليل، ص: 16.

المتلقي، ولكن الفصل ضروري بالنسبة للدارس اللساني تأكيداً على ما يرغب في دراسته وما يدرجه ضمن اهتمامه.

فالعلاقة بين نحو الجملة ونحو النص علاقة تكامل، ولا يمكن فصلهما، لأن النص يقوم على مجموعة من الجمل، قلت أو كثرت، بينها رابط لغوي ودلالي وسياقي، والجملة تمثل نواة النص فلا يستغني أحدهما عن الآخر.

خاتمة:

عالجت هذه الدراسة موضوع نحو الجملة ونحو النص على ضوء التراث والدرس اللساني الحديث، فجاء المقال في ثلاثة محاور، تحدث المحور الأول عن تعريف الجملة والنص على ضوء التراث والدرس اللساني الحديث، والمحور الثاني تحدث عن تعريف نحو الجملة ونحو النص وملامح نحو النص في التراث العربي المتجلية في أعمال علماء البلاغة وعلوم القرآن وأصول الفقه ومعايير كلا النحوين أما المحور الثالث فتحدث عن نقاط الالتقاء والاختلاف بين النحوين الجملي والنصي. ثم الخاتمة التي انطوت على ملخص البحث وأهم النتائج التي توصل إليها الباحث، وهي كالتالي:

1. أن نحو الجملة يقتصر على تحليل الجمل وتجزئة الجملة إلى اسم وفعل وحرف، ولا يتعدى حدود الجملة.
2. وأن نحو النص يبدأ دوره بعد اكتمال النص، وذلك بتحديد سمات النص وصور الترابط والانسجام والموقفية تجلية للرسالة التي يحملها النص إلى المتلقي.
3. أن هناك ملامح ومظاهر لنحو النص في التراث العربي المتمثل عند الجاحظ وعبد القاهر الجرجاني وعلماء علوم القرآن وأصول الفقه.
4. أن نحو النص لا يقتصر عمله على الشكل، بل كان دوره الأكبر يكون على المعنى بجميع أنواعه المعجمي والدلالي والعرفي والاجتماعي بخلاف نحو الجملة الذي لا يمس من جانب المعنى إلا جانبا واحدا وهو المعنى المعجمي.

المراجع

1. إبراهيم أنيس، **من أسرار اللغة**، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة.
2. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، 2009، عالم المعرفة- القاهرة.
3. ابن جني، أبو الفتح عثمان – **الخصائص** – تحقيق : أحمد علي النجار – 1952 – المكتبة العلمية – القاهرة.
4. خطابي، محمد – **لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب** – 1991 – المركز الثقافي العربي – بيروت.
5. الزناد، الأزهر – **نسيج النص، بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً** – 1993 – المركز الثقافي العربي – بيروت.
6. سعد عبد العزيز مصلوح، **في اللسانيات العربية المعاصرة**، 2015م، عالم الكتب، القاهرة.
7. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر – *الكتاب* – تحقيق وشرح : عبد السلام هارون – 1988 – ط 3 – مكتبة الخانجي – القاهرة.
8. السيوطي، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن الكمال – **همع الهوامع في جمع الجوامع** – تحقيق : أحمد شمس الدين – 1998 – دار الكتب العلمية – بيروت.
9. عبد الراضي، أحمد محمد – **نحو النص بين الأصالة والحداثة** – 2008 – مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة.
10. عبد العظيم فتحي خليل (الأستاذ الدكتور)، **مباحث حول نحو النص، اللغة العربية**، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر بدون تاريخ.
11. عبد اللطيف، محمد حماسة – النحو والدلالة، **مدخل لدراسة المعنى النحوي – الدلالي** – 2000 – دار الشروق – القاهرة.
12. عبد المجيد، جميل – **البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية** – 1998 – الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة.

13. عفيفي، أحمد – **نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي** – 2001 _ مكتبة زهراء الشرق – القاهرة.
14. فضل، صلاح – **بلاغة الخطاب وعلم النص** – 1992 – دار المعرفة – الكويت.
15. كمال جبري محاضرات في مادة نحو النص، جامعة العلوم الإسلامية العالمية.
16. المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد – **المقتضب** – 1994 – المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة.
17. مصطفى صلاح قطب، علم اللغة النصي (النظرية والتطبيق)، 2014، عالم الكتب- القاهرة.
18. ابن منظور، محمد بن مكرم – **لسان العرب** – 1990 – دار صادر – بيروت.
19. نادية رمضان، **علم اللغة بين النصي النظرية والتطبيق، نماذج من السنة النبوية**، 2004م، القاهرة.
20. هاينة، فولفانج – **مدخل إلى علم النص** – ترجمة سعيد بحيري – 2004 – مكتبة زهراء الشرق – القاهرة.
21. ابن هشام الأنصاري، عبد الله بن يوسف جمال الدين – **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** – تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله – 2005 – دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت.